القول في الجماد

الدكتور محمد هيثم الخياط

أمّا الجماد فإنّي بتّ أبصره
إذ ليس يعلم إنسانٌ أذلّ ومحقّرا
لا يشعر العود بالنار التي أخذت
فيه ، ولا الأصهبُ الدُّرّي إن سُحِقا

« شيخ المعرّة »

قرأت للدكتور ابراهيم السامرّائي في الجزء الثاني من المجلّد الخامس والخمسين من مجلّة المجمع ، نقداً « لمعجم الأخطاء الشائعة » للأستاذ محمد العدناني . وما أريد أن أخوض في النقاش بين الأستاذين الفاضلين ، ولكنّي أحبُّ أن أعقّب على ما أورده الأستاذ السامّرائي في الصفحة (٤٠٥) بقوله :

[أراد المؤلّف بـ « الجماد » ما ليس بحيوان ولا نبات . . . و « الجماد » من الكلم المدرسي الذي ثقفناه في المدارس الابتدائية ، والذي وضعه هو وغيره جماعة لا علم لهم بالعربية يُعتدّ به . . .]

وقد أحببت أن أقف قليلاً عند هذه العبارة . فالذي نعرفه عن الاستاذ السامّرائي حبّه للجاحظ ورجوعه إليه واعتماده على مصطلحه ، وهو مُحِقٌّ في ذلك إن شاء الله . ثم إنه يأخذ على « أهل التصحيح » اعتمادهم على المعجم القديم « . . وكأنّهم لم يعلموا أن المعجم يفتقر إلى أشياء كثيرة » (ص ٤٠١ من المقالة) . فلعله قد سَهَا ـ حفظه الله ـ عمّا قال الجاحظ في الجزء الأول من كتاب الحيوان (ص ٢٦) :

« وأقول إن العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متّفق ومختلف ومتضادّ ، وكلُّها في جملة القول : « **جَمَاد** ونامٍ » . . في كلام طويل غايته في الصفحة (٢٧) أن يقول : « ثم النامي على قسمين : حيوان ونبات » .

ومثل ذلك قوله في الصفحة (٣٣) من الجزء نفسه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« فشارك كلُّ حيوانٍ ـ سوى الإنسان ـ جميعَ **الجَمَاد** في الدلالة وفي عدم الاستدلال ، واجتمع للإنسان أن كان دليلاً مستدلاً » .

وبمثلِ الذي قال أبو عثمان رحمه الله قال خلق من العلماء ، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : البيروني في « تحقيق ماللهند من مقولة » (ص ٢٤) والخوارزمي في « مفاتيح العلوم » (ص ٨١) والقزويني في « عجائب المخلوقات » (ص ٢٨١ و ٣٣٧ من طبعة دار الآفاق الجديدة) . .

أم أن الأستاذ الفاضل يختار لنا أن نحار في العثور على مصطلح يحلّ محلّ « الجماد » مع أن مَحَطَّ الحيرة في رأي الشاعر الحكيم غير ذلك :

والـــذي حـــارت البريـــة فيـــه حيـــوانٌ مستحـــدثٌ من جمـــاد

أما أولئك الذين يصفهم الأستاذ الكريم بأنهم « جماعة لا علم لهم بالعربية يُعتدّ به » فلست أعلم مَنْ هم ، وما إخاله يعني نَقَلة العلم الحديث وناحتي المصطلحات العلمية الجديدة في مطلع نهضتنا الحديثة ، من أساتيذ المدارس الابتدائية والثانوية في الشام والعراق ومصر ومَنْ إليهم ، فالذي يعرفه كلّ من تَلْمَذَ لهم أو لكتبهم أنهم أعلم بالعربية وأبصر بمعانيها وتصاريف الكَلِم فيها من جُلِّ « وضّاع » المصطلحات في هذه الأيام .

وللأستاذ السامرائي الفضل في أن أثار هذه السانحة ، وأسأل الله أن يجنّبني فضول القول والثقة بما عندي ولا يجعلني من المتكلّفين .

الدكتور محمد هيثم الخياط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net